سلسلة أعمال القلوب (١٠)

الكبر

ح مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

الكبـر، محمد صالح المنجد – الخبر ١٤٣٠هـ

٦٤ ص ، ١٢×١٧ سم

ردمك : ٠-١٧-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الكبرياء ٢- الأخلاق الإسلامية أ. العنوان

ديوي : ٢١٣,٣ ١٤٣٠/٤٠٥٢

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



محمد صالح المنجد

سلسلة أعمال القلوب (١٠)

الكبر



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن الكبر والعجب من أدواء النفس الخطيرة التي تمثل انحرافاً خُلقيا، يجنح بالإنسان عن سبيل الهدى والحق إلى سبل الردى والضلال؛ وذلك لأنه متى نفخ الكبر والعجب بالنفس في أنف المستكبر المغرور واستوليا على عقله وإرادته ساقاه بعنف شديد وتمرد لئيم إلى بطر الحق ورده وطمس معالمه، ثم إلى انتحال صور من الباطل يعمل على تزيينها وتحسينها بالأقوال المزخرفة التي لا حقيقة لها، ويتبع ذلك غمط الناس واحتقارهم صغاراً وكباراً والعياذ بالله تعالى.

وسنتعرض في هذا الكتاب لبيان معنى الكبر، والفرق بينه وبين العجب، وخطورته، ومظاهره، وأسبابه، وبعض آثاره، ونختم بالعلاج.

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة وإخراجها بالصورة المرضية.

نسأل الله تعالى العفو والعافية، والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



تعريف الكبر

لغـةً:

قال ابن فارس: (الكِبْرُ: العظمة، وكذلك الكبرياء، يقال: ورثوا المجد كابراً عن كابر. أي كبيراً عن كبير في الشرف والعز)[١]، وذكر ابن منظور: (أن الكِبْر بالكسر والكبرياء العظمة والتجبر.... وقد تَكبَّر واستكبَر وتَكابَر وقيل تَكبَّرَ من الكِبْر وتَكابَر من السِّنّ والتكبُّر والاستِكبار التَّعظّم)[٢].

شرعاً:

عرفه النبي ﷺ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ. قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»[٣].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/ ١٥٤).
(٢) لسان العرب (٥/ ١٢٥).
(٣) رواه مسلم (٩١).

فعرّف النبي ﷺ الكبر بشقين هامين:

الأول: (بطر الحق) يعني جحود الحق مع الاستهانة به، والاستعلاء عن قبوله.

إننا نجد كثيراً من الناس إذا عَرَضَ عليهم مَنْ دونهم في المكانة أو السن أمراً هو حق لا شك فيه، ولكنه جاء مخالفاً لرأيهم أو لما كانوا قرروه أو عملوا به جحدوه وأنكروه واستصغروا صاحبه وأصروا على مخالفته، وربما كانت مصلحتهم الخاصة في جانب الحق لا في جانب الباطل الذي أصروا عليه.

هذا الصنف من الناس موجود بكثرة، خاصة في المجتمعات الصغيرة: في الأسرة، وفي المدرسة، وفي العمل، وبين الزملاء.

إن المحذور الذي يخشاه هذا المتكبر إذا هو قَبِلَ الحقَّ الصادرَ من غيره أن ينال المجدَ غيرُه، فيكبرَ عند الناس، وينازعَه المكانةَ التي يطلبها لنفسه؛لأنه يخشى أن يكون تابعاً لغيره.

ولو عقل هذا المستكبر وتبصر لعلم أن مكانته ومنزلته هي في اتباع الحق لا في التمادي في الباطل.

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (لا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس وراجعت فيه نفسك، فهديت

فيه لرشدك أن تراجع الحق فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل)[١].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: كنا في جنازة فيها عبيد الله بن الحسن وهو على القضاء... فسألته عن مسألة فغلط فيها، فقلت: أصلحك الله، القول في هذه المسألة كذا وكذا... فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال: إذن أرجع وأنا صاغر، إذن أرجع وأنا صاغر، لأن أكون ذَنَبا في الحق أحبُّ إليَّ من أن أكون رأسا في الباطل[٢].

الثاني (غمط الناس):

والغمط: هو الاحتقار والازدراء والاستصغار.

فغمط الناس هو احتقارهم واستصغارهم والازدراء بهم، والترفع عن الثناء عليهم بفضائلهم، وعدم الاعتراف بحقوقهم وصفاتهم الفاضلة.

ويصل طغيان هذا الغمط إلى أقصى مداه عندما يحاول

---

(١) رواه الدارقطني (٤/ ٢٠٦).

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٠٨).

هدم فضائل الناس، وطمس كمالهم، وتحقيرهم وتصغيرهم بالكذب والبهتان، بُغية احتفاظ المتكبر بالمكانة العالية لنفسه دون الآخرين.

فالمتكبر إذا لم يستطع أن يعتلي مكانة المجد بكمالاته فإنه يحاول أن يعتليها بتحطيم كمالات الآخرين، والحط من مكانتهم.

الفرق بين الكبر والعجب

قال أبو وهب المَرْوَزي: سألت ابن المبارك: ما الكبر؟ قال: أن تزدري الناس.

فسألته عن العُجْب؟ قال: أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك، لا أعلم في المصلين شيئاً شراً من العُجْب[١].

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٧).

أسباب الكبر

يشعر المتكبر بالاستعلاء الذاتي على الأقران، وبالتميز على الآخرين، و بالرغبة الجامحة بعدم الخضوع لأحد.

ويمكن حصر الأسباب بالآتي:

١ـ الرغبة في عدم الخضوع لأحد:

تتنامى هذه الرغبة حتى يصل به الحال إلى التمرد على طاعة الله، الذي بيده مقاليد السموات والأرض، وهو على كل شيء قدير.

ومع هذه الرغبة يأتي شعور المستكبر باستغنائه، فيتولد منه الطغيان. ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ العلق: [٦– ٧] قال البغوي: أي إن الإنسان يتجاوز حده ويستكبر على ربه لأنه رأى نفسه غنياً[(١)].

---

(١) معالم التنزيل (٨/ ٤٧٩) بتصرف.

٢ـ الطموح الجامح إلى الامتياز على الآخرين:

المستكبر يجد أن من حقه على المجتمع أن يمنحه الامتياز والتفوق، وأن يعترف له به.

فإن لم يعترف المجتمع له بذلك، سولت له نفسه أنه يستطيع أن ينال ما يطمح إليه عن طريق الاستكبار.

٣ـ الرغبة في إخفاء المستكبر ما يشعر به من نقص في ذاته أو عمله:

المستكبر حريص أن يكون في أعين الناس كبيرا، وألا يكتشفوا نقصه، ثم هو باستكباره يفضح نفسه، ويدل الناس على عوراته، إذ يوجه أنظار الناس إليه باحثين عن حقيقة حاله، فيكتشفون أمره، ويستبينون نقصه، فيحتقرونه ويستصغرونه.

ولقد كان باستطاعته أن يستر عيوب نفسه بالتواضع، ولين الجانب، والتحبب إلى الناس، والصمت عما يجهل، والاعتذار عما لا يحسن، والبعد عن التحديات، وعن الادعاءات الباطلة.

٤ـ مبالغة الآخرين في التواضع:

قد يكون الباعث على الكبر مبالغة الآخرين في التواضع، وهضم النفس، والعزوف عن التقدم لتحمل المسئولية أو تحمل الأمانة. فيرى المتكبر أن عزوف الناس عن ذلك إنما هو لإقرارهم بفضله عليهم، فلا يزال به الشيطان حتى يرى نفسه فوق الجميع، فيحتقرهم فيقع في الكبر.

٥ـ اختلال القيم ومعايير التفاضل عند الناس:

من أسباب الكبر الباعثة عليه اختلال معايير التفاضل عند الناس، فتراهم يقدمون الغني صاحب الجاه ولو كان عاصيا فاسقا، ويؤخرون التقي النقي لفقره وعدم وجاهته، فيكون ذلك سببا في تقديم من لا يستحق التقديم فيقع في احتقار الآخرين والترفع عليهم.

وقد أوضح النبي ﷺ ذلك بمثال عملي مع أصحابه رضي الله عنهم، معلنا رفضه المطلق لهذا المعيار عند تقديم الناس أو تأخيرهم.

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: مَرَّ رجل على رسول الله ﷺ فقال: «**مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟**»، قالوا: حَرِيٌّ إن خطب أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شفع أن يُشَفَّعَ، وإن قال أَنْ يُسْتَمَعَ، قال: ثم سكت، فَمَرّ رَجل من فقراء المسلمين، فقال: «**مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟**» قالوا: حَرِيٌّ إِنْ خطب أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شفع أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وإن قال أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فقال رسول الله ﷺ: «**هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**»[(١)].

٦ـ مقارنة نعمته بنعمة الآخرين ونسيان المنعم سبحانه وتعالى:

من أسباب الكبر أن ينظر الإنسان إلى النعم التي أنعم الله بها عليه، ويقارن نفسه بالآخرين الذين منعهم الله تلك النعم لِحِكم يعلمها سبحانه وتعالى. فيرى أنه أهل لتلك النعم، وأنها وصلت إليه لاستحقاقه لها، فينظر لنفسه نظرة المعظم، ويحتقر الآخرين الذين يراهم ليسوا أهلاً لتلك النعم.

---

(١) رواه البخاري (٥٠٩١).

بماذا يحصل الكبر؟

النعم التي يتكبر بها أصحابها كثيرة منها:

١ـ المال:

قال الله تعالى عن صاحب الجنتين: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴾ [الكهف: ٣٤] وقال: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٦ - ٧٧].

وقال: ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٤٩].

٢ـ العلم:

وما أسرعَ الكبرَ إلى بعض المتعلمين.

فلا يلبث أن يستشعر في نفسه كمال العلم، فيستعظم نفسه، ويحتقر الآخرين ويستجهلهم.

وسبب كبره بالعلم أمران:

أحدهما:

أن يكون اشتغاله بما يسمى علماً وليس علماً في الحقيقة، فإن العلم الحقيقي هو ما يعرف به العبد ربه ونفسه، وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨].

ثانيهما:

أن يخوض في العلم وهو خبيث النفس، سيء الأخلاق، فهذا إذا حفظ شيئاً من العلم وجد ما يتكبر به فازداد تكبراً وتيهاً.

كما قال المعري العاري عن الفضائل يمدح نفسه:

وإني وإن كنـتُ الأخيـــرَ زمانُــهُ
لآتٍ بما لــم يَأْتِ به الأوائـلُ[١]

ومن الكبر:

ما يفعله بعض صغار طلبة العلم حيث يجعل نفسه ندّاً للعلماء فيقول: هم رجال ونحن رجال !!

قال أيوب العطار: سمعت بشر بن الحارث يقول: حدثنا حماد بن زيد ثم قال: أستغفر الله إن لذكر الإسناد في القلب لخيلاء[٢].

٣ـ العمل والعبادة:

فبعض الناس يتكبر بعبادته، فيرى حقاً على الناس أن يقدموه، ويذكروه بالورع والعبادة، ويرى الناس هالكين، ويرى نفسه ناجياً.

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٤٥٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٦١).

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**»[١]. قال أبو إسحاق: لا أدري أَهْلَكَهُمْ بِالنَّصْبِ أَوْ أَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ.

قال النووي:

قوله ﷺ: (إِذَا قَالَ الرَّجُل: هَلَكَ النَّاس فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ) رُوِيَ (أَهْلَكَهُمْ) على وجهين مشهورين: رفع الكاف وفتحها، والرفع أشهر... ومعناها أشدهم هلاكا، وأما رواية الفتح فمعناها هو جعلهم هالكين، لا أنهم هلكوا في الحقيقة. واتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس، واحتقارهم، وتفضيل نفسه عليهم، وتقبيح أحوالهم، لأنه لا يعلم سر الله في خلقه. قالوا: فأما من قال ذلك تَحَزُّنًا لِمَا يَرى في نفسه وفي الناس من النَّقص في أمر الدين فلا بأس عليه كما قالت أم الدرداء رضي الله عنها: دخل عليَّ أبو الدرداء وهو مغضب فقلت ما أغضبك؟ فقال: (والله ما أعرف من أمة

(١) رواه مسلم (٢٦٢٣).

محمد ﷺ شيئا إلا أنهم يصلون جميعا)[١]. هكذا فسره الإمام مالك، وتابعه الناس عليه[٢].

قال ابن الجوزي: (وبعض المتزهدين عنده غفلة، يكاد يوطن نفسه على أنه ولي محبوب ومقبول، وربما احتقر غيره وظن أن محلته محفوظة به، تغره ركيعات ينتصب فيها أو عبادة ينصب بها، وربما ظن أنه قطب الأرض، وأنه لا ينال مقامه بعده أحد)[٣].

روى الخطابي في كتابه (العزلة) أن عبد الله بن المبارك قدم خراسان فقصد رجلا مشهورا بالزهد و الورع، فلما دخل عليه لم يلتفت الرجل إليه و لم يأبه به، فخرج من عنده عبد الله بن المبارك، فقال له بعض من عنده: أتدري من هذا؟ قال: لا. قال: هذا أمير المؤمنين في الحديث، هذا عبد الله بن المبارك فَبُهِتَ الرجل وخرج إلى ابن المبارك مسرعاً يعتذر إليه، ويتنصل مما حدث قائلاً: يا أبا عبد الرحمن اعذرني وعظني!

---

(١) رواه البخاري (٦٢٢).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٧٥).
(٣) صيد الخاطر (١٣٥).

قال ابن المبارك: نعم، إذا خرجت من منزلك فلا يقع بصرك على أحد إلا رأيت أنه خير منك !

وذلك أنه رآه معجباً بنفسه[١].

فهذه حال ذلك المتكبر المغرور، وأما السلف الصالح فكان أحدهم يقول: نظرت إلى أهل عرفات فظننت أنهم غُفِر لهم لولا أني كنت فيهم[٢].

والمؤمن لا يزال يحتقر نفسه وعمله، قيل لعمر بن عبد العزيز: إن مت ندفنك في حجرة النبي ﷺ، قال: لأن ألقى الله بكل ذنب غير الشرك أحب إلي من أن أرى نفسي أهلاً لذلك[٣].

٤ـ النسب:

بعض من له نسب شريف يحتقر من دونه في النسب، وقد يتكبر ويأنف من مخالطة الناس ومجالستهم، وقد يجري

---

(١) العزلة (٢٢٠).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨٢٥٢) عن بكر بن عبد الله المزني.

(٣) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٢٢٩).

هذا الكبر والتفاخر على لسانه فيقول: من أنت؟ ومن أبوك؟ ومع مثلي تتكلم؟!!

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كان عمر رضي الله عنه: (يقول أبو بكر رضي الله عنه سيدنا وأعتق سيدنا)[١] يعني بلالًا رضي الله عنه.

عن المَعْرُورِ بن سويد قال: رأيت على أبي ذر رضي الله عنه بُرْدًا وعلى غلامه بُرْدًا فقُلت: لو أخذت هذا فلبسته كانت حلة وأعطيته ثوبا آخر فقال كان بيني وبين رجل كلام وكانت أمه أعجمية فنلت منها فذكرني إلى النبي ﷺ فقال لي: «**أَسَابَبْتَ فُلَانًا؟**» قلت: نعم، قال: «**أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ؟**» قلت: نعم، قال: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»، قلت: على حين ساعتي هذه من كبر السن، قال: «**نَعَمْ هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمْ الله تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ جَعَلَ الله أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفُهُ مِنْ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ**»[٢].

قال ابن حجر: قوله: «هُمْ إِخْوَانكمْ» أي العبيد أو الخدم

---

(١) رواه البخاري (٣٧٥٤).

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٠).

حتى يدخل من ليس في الرق منهم... ويؤخذ منه المبالغة في ذم السب واللعن لما فيه من احتقار المسلم، وقد جاء الشرع بالتسوية بين المسلمين في معظم الأحكام، وأن التفاضل الحقيقي بينهم إنما هو بالتقوى، فلا يفيد الشريف النسب نسبه إذا لم يكن من أهل التقوى، وينتفع الوضيع النسب بالتقوى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣][(١)].

وقال:

«إِنَّك اِمْرُؤٌ فِيك جَاهِلِيَّة» أي: خصلة من خصال الجاهلية. ويظهر لي أن ذلك كان من أبي ذر رضي الله عنه قبل أن يعرف تحريمه، فكانت تلك الخصلة من خصال الجاهلية باقية عنده، فلهذا قال (قلت: على ساعتي هذه من كبر السن؟ قال: نَعَمْ) كأنه تعجب من خفاء ذلك عليه مع كبر سنه، فبين له كون هذه الخصلة مذمومة شَرْعًا[(٢)].

(١) فتح الباري (١٠/ ٤٦٨).
(٢) فتح الباري (١/ ٨٧).

أمثلة من المتكبرين
الذين صرفهم الكبر عن اتباع الحق

١ـ إبليس:

الكبر هو الباعث لإبليس على الكفر، والتمرد على أمر ربه.

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٧٤) قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [ص: ٧١ – ٨٧].

٢ـ فرعون وجنوده:

وكذلك فرعون كان الكبر هو الباعث لكفره.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾ [القصص: ٣٨ - ٤٢].

٣ـ ثمود قوم صالح عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٧٥ - ٧٦].

٤ـ عاد قوم هود عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ فصلت: [١٥ – ١٦].

٥ـ قوم شعيب عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٨].

٦ـ قوم نوح عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾ [نوح: ٥ – ٩].

٧ـ بنو إسرائيل:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧ – ٨٨].

٨ـ مشركو العرب:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ الفرقان: [٢٠ – ٢١].

آثار الكبر على السلوك

للكبر آثار سيئة على سلوك المستكبر من هذه الآثار:

١ـ الاستكبار عن الإيمان بالله وعبادته وطاعته:

قال الله تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٧٢ - ١٧٣].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٠ - ٤١].

٢ـ تصعير الخد للناس ومشية الخيلاء:

من وصايا لقمان الحكيم لابنه: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨]، وتصعير الخد للناس هو إمالة الوجه عنهم على سبيل الاستكبار.

والمشي في الأرض مرحاً هو المشي بطراً وكبراً.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ أي مستكبر على الناس متعاظم عليهم.

﴿ فَخُورٍ ﴾ بنفسه أو قوته أو ماله أو ذكائه. ونهى الله تعالى عن المشي في الأرض تكبراً فقال:

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧]، وإذا كان من سلوك المتكبرين المشي في الأرض مرحاً، فمن صفات عباد الله المشي في الأرض تواضعاً. ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، وكان السلف يتحفظون في مشيتهم فعن خالد بن معدان عن

عمرو بن الأسود العنسي أنه كان إذا خرج من المسجد قبض بيمينه على شماله فسئل عن ذلك فقال: مخافة أن تنافق يدي.

قال الذهبي: يمسكها خوفاً من أن يَخْطِر بيده في مشيته، فإن ذلك من الخيلاء[١].

وكان علي بن الحسين إذا مشى لا تجاوز يده فخذيه ولا يخطر بها[٢].

٣ـ إطالة الثوب وجره على الأرض:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَنْظُرُ الله إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ**»[٣].

قال النووي:

قال العلماء: الخيلاء، والمخيلة، والبطر، والكبر، والزهو، والتبختر، كلها بمعنى واحد، وهو حرام. ويقال: خال الرجل

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٨٠)، تاريخ دمشق (٤٥/ ٤١٧).

(٢) سير اعلام النبلاء (٤/ ٣٩٢).

(٣) رواه البخاري (٥٧٨٣) ومسلم (٢٠٨٥).

واختال اختيالا إذا تكبر[(١)].

عن جابر بن سُلَيْم رضي الله عنه قَال: قلت: يا رسول الله، اعهد إلي. قال: «**لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا**»، قال: فما سببت بعده حرا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة، قال: «**وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنْ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ الْمَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنْ الْمَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ، وَإِنْ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ، فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ؛ فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ**»[(٢)].

وقد استحدثت الآن مظاهر كثيرة دالة على الخيلاء في الثياب غير الإسبال، كأشكال الثياب، وأصنافها، وما يبذل في الحصول عليها من أموال كثيرة إسرافاً وتبذيراً بقصد التفاخر والتعاظم والخيلاء.

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٦٠).
(٢) رواه أبو داود (٤٠٨٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٠٩).

٤ـ يحب أن يسعى الناس إليه ويقومون له:

عن أبي مِجْلَزٍ قال خرج معاوية رضي الله عنه على ابن الزبير وابن عامر فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر اجلس فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**»(١).

٥ـ التقعر في الحديث:

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ**. قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: **الْمُتَكَبِّرُونَ** »(٢).

قال ابن القيم:

(والثرثار هو: الكثير الكلام بِتَكلُّفٍ، وَالْمُتَشَدِّق المتطاول على الناس بكلامه الذي يتكلم فيه بملء فيه تَفَاصُحًا وَتَفَخُّمًا

---

(١) رواه أبو داود (٥٢٢٩)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٣٥٧).
(٢) رواه الترمذي (٢٠١٨) وحسنه.

وتعظيما لكلامه، وَالْمُتَفَيْهِق. أصله من الْفَهَق وهو الامتلاء، وهو الذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسع فيه تَكَثُّرا وارتفاعا وإظهارا لفضله على غيره)[(١)].

٦ـ الاستهزاء والسخرية والهمز واللمز والتنابز بالألقاب:

المتكبر يرى نفسه أعلى من الناس، فيحتقرهم ويسخر منهم ويستهزئ بهم.

٧ـ الغيبة:

المتكبر يريد أن يظهر أنه أعلى من غيره، فمن وسائله لتحقيق ذلك الغيبة، وفضح عيوب الآخرين، وكشف نقائصهم.

٨ـ الترفع عن مجالسة الفقراء والمساكين والضعفة من الناس:

المتكبر يأنف من الجلوس مع من يراهم أقل منه مالاً أو نسباً أو طبقةً اجتماعية.

---

(١) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١٣/ ٩١)، مدارج السالكين (٢/ ٣٠٧).

وكان هذا السلوك وراء صد بعض المشركين عن الدخول في الإسلام، فعن سعد بن أبي وقاص ﵁ قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[(١)].

عن خباب ﵁ في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢]، قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم فأتوه فخلوا به وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع

(١) رواه مسلم (٢٤١٣).

هذه الأعبد فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: «نَعَمْ»: قالوا فاكتب لنا عليك كتابا، قال: فدعا بصحيفة ودعا عليا ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢]، ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٣] ثم قال: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤] قال: فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الكهف:

٢٨]. قال خباب: فكنا نقعد مع النبي ﷺ فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم[١].

٩ـ ملازمة العيوب والنقائص:

المتكبر أبعد الناس عن إصلاح نفسه، أو معالجة عيوبه، لأنه يرى نفسه قد بلغ الكمال، فلا يفتش في عيوب نفسه، ولا يقبل نصيحة ناصح. فيبقى غارقاً في عيوبه ونقائصه ملازماً لها إلى أن تنقضي الحياة.

ويكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

١٠ـ عدم قبول النصيحة:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٢٧).

١١- عدم تعلم العلم:

قال مجاهد: لا يتعلمُ العلم مستحيي ولا متكبر[١].

فالمتكبر يحمله الكبر على الترفع والاستعلاء، فلا يكسب من غيره علماً، ولا خبرة، ولا مهارة، ولا تجربة، فيبقى طوال حياته جاهلاً، قصير النظر.

١٢- لا يبدأ من لقيه بالسلام:

وإن رد عليه رأى أنه قد بالغ في الإنعام عليه، ولا ينطلق للناس وجهه، ولا يسعهم خلقه، ولا يرى لأحد عليه حقا، ويرى حقوقه على الناس، ولا يرى فضلهم عليه، ويرى فضله عليهم، ولا يزداد من الله إلا بعدا، ومن الناس إلا صغارا وبغضا[٢].

---

(١) رواه البخاري تعليقا: باب الحياء في العلم، وأبونعيم في الحلية (٣/ ٢٨٧)، قال ابن حجرفي الفتح (١/ ٢٢٩): (وقول مجاهد هذا وصله أبونعيم في الحلية من طريق علي بن المديني عن ابن عيينة عن منصور عنه، وهو إسناد صحيح على شرط المصنف).

(٢) الروح (٢٣٦).

١٣ـ لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه، ويحب التصدر في المجالس، والشهرة بين الناس، وأما المتواضعون فإنهم يهربون من ذلك.

فعن عامر بن سعد قال: كان سعد بن أبي وقاص ﵁ في إبله فجاءه ابنه عمر فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل. فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم فضرب سعد في صدره، فقال: اسكت **سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «إِنَّ الله يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الخَفِيَّ»**[١].

قال النووي:

المراد بالغنى غنى النفس،هذا هو الغنى المحبوب لقوله ﷺ: «**وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْس**»... وَأَمَّا (**الخَفِيّ**).... فمعناه الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه[٢].

(١) رواه مسلم (٢٩٦٥).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٨/ ١٠٠).

عقوبة المتكبر

عقوبة المتكبر في الدنيا:

١- يعاقب المتكبر بنقيض قصده فيحتقره الناس ويستصغرونه:

وهذا من الجزاء الرباني والسنن الربانية الجارية في هذا الكون، فمن تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر على الحق وضعه الله.

٢- الحرمان من النظر والاعتبار والاستفادة من آيات الله:

قال الله تعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

قال السعدي: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ﴾ أي عن الاعتبار في الآيات الأفقية والنفسية والفهم لآيات الكتاب ﴿ٱلَّذِينَ

﴿يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ أي يتكبرون على عباد الله وعلى الحق، وعلى من جاء به، فمن كان بهذه الصفة حرمه الله خيراً كثيراً، وخذله، ولم يفقه من آيات الله ما ينتفع به، بل ربما انقلبت عليه الحقائق واستحسن القبيح[(١)].

٣ـ المتكبر توعده النبي ﷺ بالعذاب في الدنيا:

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الجَبَّارِينَ فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ»**[(٢)].

(لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ) أي يعلي نفسه ويرفعها ويبعدها عن الناس في المرتبة ويعتقدها عظيمة القدر، (حَتَّى يُكتَبَ فِي الجَبَّارِينَ) أي في ديوان الظالمين والمتكبرين كفرعون وهامان وقارون، أو معهم في أسفل السافلين[(٣)].

---

(١) تفسير السعدي (٣٠٢).
(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٠) وحسنه.
(٣) تحفة الأحوذي (٦/ ١١٧).

إن هذا الحديث يصور حالة تدرج المستكبر في سلم الاستكبار والانتفاخ حتى يكون جباراً من الجبارين، وأنه في أول حاله قد لا يكون كذلك. فليخش العاقل عاقبة الكبر مهما كان في صغائر الأمور، فقد يتطور المرض اليسير حتى يتدهور، ومعظم النار من مستصغر الشرر.

٤ـ الكبر سبب لزوال النعم وحلول النقم:

عن سلمة بن الأكوع ﵁ أن رجلا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**». قال: لا أستطيع. قال: «**لَا اسْتَطَعْتَ**». ما منعه إلا الكبر. قال: فما رفعها إلى فيه[1].

قال النووي:

(وفي هذا الحديث: جواز الدعاء على من خالف الحكم الشرعي بلا عذر)[2].

فهذا الرجل منعه الكبر من طاعة الرسول ﷺ وامتثال

(١) رواه مسلم (٢٠٢١).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٣/ ١٩٢).

أمره، فكان عقابه العاجل أن دعا عليه النبي ﷺ بالعجز، فاستجاب الله دعاء نبيه ﷺ وأصيب الرجل بالعجز في الحال.

أما يخشى المتكبرون الذين يمنعهم الكبر من اتباع الحق أن يسلبهم الله تعالى نعمه التي عصوه بها وتكبروا بها؟!.

٥ـ الكبر من أسباب الخسف وعذاب القبر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ الله بِهِ الْأَرْض فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[1].

قال الفيروز أبادي: (خسف المكان: ذهب في الأرض... وخسف الله بفلان الأرض: غَيَّبَه فيها)[2].

قال ابن حجر: (يَمْشِي فِي حُلَّةٍ) إزار ورداء. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم: (بَيْنَمَا رَجُل يَتَبَخْتَر فِي بُرْدَيْهِ) قوله: (تُعْجِبهُ نَفْسه).

(١) رواه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).
(٢) القاموس المحيط (١/ ١٠٣٩).

(مُرَجِّل جُمَّته) هي مجتمع الشعر إذا تدلى من الرأس إلى المنكبين وإلى أكثر من ذلك. وترجيل الشعر تسريحه ودهنه. قوله: (إِذْ خَسَفَ الله بِهِ الْأَرْض فَهُوَ يَتَجَلْجَل فِيهَا إِلَى يَوْم الْقِيَامَة) التجلجل التحرك، وقيل: الجلجلة الحركة مع صوت، وقال ابن فارس: التجلجل أن يسوخ في الأرض مع اضطراب شديد ويندفع من شق إلى شق، فالمعنى يتجلجل في الأرض أي ينزل فيها مضطربا متدافعا، ومقتضى هذا الحديث أن الأرض لا تأكل جسد هذا الرجل فيمكن أن يُلْغَز به فيُقال: كافر لا يبلى جسده بعد الموت(١).

عقوبته في الآخرة:

١- المتكبر هالك لا محالة مع الهالكين:

عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ثَلاثَةٌ لا تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ يُنَازِعُ الله فِي كِبْرِيَاءِهِ، فَإِنَّ رِدَاءَهُ الْكِبْرِيَاءُ، وَإِزَارَهُ الْعِزَّةُ، وَرَجُلٌ يَشُكُّ فِي أَمْرِ الله، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ الله**»(٢).

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٢٦١).

(٢) رواه ابن حبان (٤٥٥٩)، والطبراني (٧٨٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٥٩).

٢ـ أبغض الناس وأبعدهم مجلسا من رسول الله يوم القيامة المتكبرون:

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ»(١).

٣ـ المتكبر يلقى الله تعالى وهو عليه غضبان:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ أَوْ اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ لَقِيَ الله وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»(٢).

(١) رواه الترمذي (٢٠١٨) وحسنه.

(٢) رواه أحمد (٥٩٥٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١١٦) رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩١٨).

٤ـ يحشر المتكبرون يوم القيامة في غاية الذل والمهانة:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ**»[١].

قوله: (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ) والذر النمل الأحمر الصغير. قاله في النهاية. (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ) أي في الصغر والحقارة (فِي صُوَرِ الرِّجَالِ) يعني صورهم صور الإنسان وأجسامهم كأجسام الذر في الصغر (يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) والمعنى أنهم يكونون في غاية من المذلة والنقيصة يطأهم أهل المحشر بأرجلهم من هوانهم على الله. (يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ) أي تحيط بهم وتغشاهم (نَارُ الْأَنْيَارِ، وَيُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ) وهو ما يسيل منهم من الصديد والقيح والدم[٢].

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٩٢) وقال: حسن صحيح.

(٢) تحفة الأحوذي (٧/ ١٦٢) بتصرف.

ولأن المتكبر يأخذ حجما في الدنيا أكبر من حجمه، فإن الله تعالى يعاقبه يوم القيامة بإذلاله أمام الناس، ويحشر كأمثال الذر.

٥ـ الكبر من أسباب المنع من دخول الجنة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**». قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»[1].

٦ـ المتكبرون متوعدون بالنار:

عن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ، كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**»[2].

---

(١) رواه مسلم (٩١).

(٢) رواه البخاري (٤٩١٨) ومسلم (٢٨٥٣).

قال النووي: (الْعُتُلّ): الجافي الشديد الخصومة بالباطل، وقيل: الجافي الفظ الغليظ[(١)].

(جَوَّاظٍ): هو الجموع المنوع، وقيل كثير اللحم المختال في مشيته. وقيل غير ذلك[(٢)].

(عُتُلّ): هو الشديد الجافي والغليظ من الناس[(٣)].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**احْتَجَّتْ النَّارُ وَالْجَنَّةُ فَقَالَتْ النَّارُ: يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ وَقَالَتْ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟ فَقَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ لِلنَّارِ أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَرُبَّمَا قَالَ أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَقَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا**»[(٤)].

قوله: (اِحْتَجَّتْ) أي اختصمت كما في رواية للبخاري[(٥)].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٨٧).
(٢) تحفة الأحوذي (٧/ ٢٧٩).
(٣) حاشية السندي على ابن ماجة.
(٤) رواه البخاري (٤٨٥٠) مسلم (٢٨٤٦) واللفظ له.
(٥) برقم (٧٤٤٩).

قال ابن حجر: «بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ» قيل: هما بمعنى، وقيل: المتكبر المتعاظم بما ليس فيه والمتجبر الممنوع الذي لا يوصل إليه وقيل: الذي لا يكترث بأمر.. «ضُعَفَاء النَّاس وَسَقَطهمْ» أي المحتقرون بينهم الساقطون من أعينهم، هذا بالنسبة إلى ما عند الأكثر من الناس، وبالنسبة إلى ما عند الله هم عظماء رفعاء الدرجات، لكنهم بالنسبة إلى ما عند أنفسهم لعظمة الله عندهم وخضوعهم له في غاية التواضع لله والذلة في عباده، فوصفهم بالضعف والسقط بهذا المعنى صحيح، أو المراد بالحصر في قول الجنة «إِلَّا ضُعَفَاء النَّاس» الأغلب[1].

٧ـ المتكبرون متوعدون بدخول جهنم صاغرين:

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ

(١) فتح الباري (٨/ ٥٩٧).

أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٧١ - ٧٢].

وقال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»[1].

فالكبرياء والعظمة لا يليقان إلا بالله عز وجل فإذا تكبر العبد فقد نازع الله تعالى فيما لا يليق إلا به، فاستحق أن يقذفه الله تعالى في النار.

(١) رواه أبو داود (٤٠٩٠)، وصححه الألباني.

علاج الكبر

اعلم أن الكبر من المهلكات، وإزالته فرض عين، ولا يزول الكبر بمجرد التمني بل بالمعالجة، فمن علاج الكبر:

١- استئصال أصل الكبر من القلب:

بأن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى، فإنه إذا عرف نفسه حق المعرفة علم أن لا يليق به إلا التواضع، وإذا عرف ربه حق المعرفة علم أن الكبرياء والعظمة لا تليق إلا بالله.

فمعرفته بنفسه أن يتفكر في بداية خلقه ونهايته ووسطه.

أما بداية خلقه فإن الله خلقه نطفة قذرة، من ماء مهين، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم جعله عظاماً، ثم كسا العظام لحما.

فهذه بداية خلقه، فلم يُخلق في ابتدائه خلقا كاملاً، بل بدأ بموته قبل حياته، وبضعفه قبل قوته، وبجهله قبل علمه، وبضلاله قبل هداه، وبفقره قبل غناه، فمن أين له البطر والكبرياء، والفخر والخيلاء؟!!

ثم إذا خرج إلى هذه الحياة الدنيا سلط الله عليه الأمراض والآفات تنال منه شاء أم أبى. فيجوع كرها، ويعطش كرها، ويمرض كرها، ويموت كرها، يريد أن يعلم الشيء فيجهله، ويريد أن يذكر الشيء فينساه، ويريد أن ينسى الشيء فيذكره، فهو عبد مملوك لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراًّ ولا خيرا ولا شرا.

فأي شيء أذل منه لو عرف نفسه؟!

وأما آخر حاله فهو الموت فيسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته فيعود جمادا كما كان أول مرة، ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة.

وليته بقي كذلك بل يحييه بعد طول البِلى ليقاسي شديد البلاء، فيخرج من قبره إلى أهوال القيامة، وينشر له كتاب أعماله ويقال له: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤]. فإذا شاهده قال: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

قال الأحنف: (عجبت لمن يجري من مجرى البول مرتين كيف يتكبر؟!)[١].

رأى مطرف بن الشخير يزيد بن المهلب يسحب حلته فقال له: إن هذه مشية يبغضها الله قال: أو ما تعرفني؟ قال: بلى أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة[٢].

وقد نظم هذا المعنى أبو محمد عبد الله بن محمد البسامي الخوارزمي فقال:

عجبـتُ مـن مُعْجَـبٍ بصورتـهِ
وكان مِنْ قبلُ نطفــةً مَذِرَه[٣]

وفـي غــدٍ بعد حسـنِ صورتـهِ
يصيرُ في الأرضِ جيفةً قذره

وهـــو علـى عُجْبِــه ونَخْوَتِــهِ
ما بين ثوبيهِ يحمـلُ العذره[٤]

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٥٠٥)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٩٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٥).
(٣) مذرة أي قذرة، القاموس المحيط (١/ ٦٠٩).
(٤) وفيات الأعيان (٦/ ٢٨٤).

وقال آخر:

يا مُظهرَ الكبرِ إعجاباً بصورتـــهِ
مهـــلاً فإنك بعدَ الكبْـرِ مسلوبُ
لو فكر الناسُ فيمـــا في بطونهـــمُ
ما استشعر الكبرَ شبانٌ ولا شيبُ
يا ابنَ الترابِ ومأكولَ الترابِ غداً
أَقْصِـرْ فإنك مأكـولٌ ومشـروبُ

٢ـ النظر والتأمل في الأسباب التي تكبر بها، وإدراكه أنه لا يليق به التكبر بها.

من يعتريه الكبر من جهة النسب فليصلح قلبه بمعرفة أن هذا جهل من حيث أنه تكبر بكمال غيره.

وكيف يليق بعاقل أن يتكبر بكمال غيره؟!

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال انتسب رجلان على عهد رسول الله ﷺ فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أُمَّ لك، فقال رسول الله ﷺ: «**انْتَسَبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ حَتَّى عَدَّ تِسْعَةً فَمَنْ أَنْتَ لَا أُمَّ لَكَ، قَالَ: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ابْنُ**

الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَأَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام أَنَّ هَذَيْنِ الْمُنْتَسِبَيْنِ أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَمِي أَوْ الْمُنْتَسِبُ إِلَى تِسْعَةٍ فِي النَّارِ فَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا هَذَا الْمُنْتَسِبُ إِلَى اثْنَيْنِ فِي الْجَنَّةِ فَأَنْتَ ثَالِثُهُمَا فِي الْجَنَّةِ»[(١)].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنْ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتِنَ»[(٢)].

(عُبِّيَّة الْجَاهِلِيَّة) أي فخرها وتكبرها ونخوتها. (مُؤْمِن تَقِيّ وَفَاجِر شَقِيّ): قال الخطابي: (معناه أن الناس رجلان مؤمن تقي فهو الخيِّر الفاضل وإن لم يكن حسيبا في قومه، وفاجر شقي فهو الدني وإن كان في أهله شريفا رفيعا). وقيل: معناه أن المفتخر المتكبر إما مؤمن تقي فإذن لا ينبغي

---

(١) رواه أحمد (٢٠٦٧٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٧٠).
(٢) رواه أبو داود (٥١١٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٨٧).

له أن يتكبر على أحد، أو فاجر شقي فهو ذليل عند الله والذليل لا يستحق التكبر فالتكبر منفي بكل حال (أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ): أي فلا يليق بمن أصله التراب النخوة والكبر (لَيَدَعَنَّ): بلام مفتوحة في جواب قسم مقدر أي والله ليتركن كذا قيل (إِنَّمَا هُمْ): أي أقوام (أَوْ لَيَكُونُنَّ): بضم النون الأولى والضمير الفاعل العائد إلى رجال وهو واو الجمع محذوف من ليكونن والمعنى ليصيرن (أَهْوَنَ): أي أذل (عَلَى الله): أي عنده (مِنْ الْجِعْلَانِ): بكسر الجيم وسكون العين جمع جُعْل بضم ففتح دويبة سوداء تدير الخراء بأنفها (الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ): أي العذرة[(١)].

عن أبي ريحانة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ انْتَسَبَ إِلَى تِسْعَةِ آبَاءٍ كُفَّارٍ يُرِيدُ بِهِمْ عِزًّا وَكَرَمًا فَهُوَ عَاشِرُهُمْ فِي النَّارِ**»[(٢)]. قال الحافظ في الفتح: إسناده حسن[(٣)].

(١) عون المعبود (١٤/ ١٦).
(٢) رواه أحمد (١٦٧٦١).
(٣) فتح الباري (٦/ ٥٥١).

ومن تكبر بسبب العلم فليعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد، وأن من عصى الله على علم فجنايته أعظم.

وليعلم أن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى، فإذا تكبر صار ممقوتاً عند الله بغيضاً، فهذا مما يزيل التكبر ويبعث على التواضع.

وليعلم أن التكبر بالعمل والعبادة فتنة عظيمة على العباد.

قال أبو هريرة ﵁ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا، فَقَالَ: والله لَا يَغْفِرُ الله لَكَ أَوْ لَا يُدْخِلُكَ الله الْجَنَّةَ. فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا، وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ**». قال أبو هريرة ﵁: (والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته)[1].

(١) رواه أبو داود (٤٩٠١)، وصححه الألباني.

وقال أبو يزيد البسطامي: ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر[(١)].

وقد وصف الله تعالى السابقين إلى الخيرات بأنهم يعملون الطاعات وهم على وجل وخوف أن لا يقبل الله منهم. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١].

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قالت: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «**لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**»[(٢)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٨٧).
(٢) رواه الترمذي (٣١٧٥) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٣٠٤).

٣ـ الدعاء والاستعانة بالله تعالى:

عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي صلاة، فقال: «الله أَكْبَرُ كَبِيراً الله أَكْبَرُ كَبِيراً الله أَكْبَرُ كَبِيراً وَالحَمْدُ لله كَثِيراً وَالحَمْدُ لله كَثِيراً وَالحَمْدُ لله كَثِيراً وَسُبْحَانَ الله بُكْرَةً وَأَصِيلًا ثَلَاثًا، أَعُوذُ بِالله مِنْ الشَّيْطَانِ الرجيم مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهمْزِهِ قَالَ: نَفْثُهُ الشِّعْر، وَنَفْخُهُ الْكِبْر، وَهمْزُهُ المُوتَةُ»[(١)].

٤ـ التواضع:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت[(٢)].

قال ابن حجر:

(فتنطلق به حيث شاءت) في رواية أحمد (فتنطلق به في حاجتها).

---

(١) رواه ابن حبان (١٧٨٠)، والطبراني (١٥٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب (٨٠).

(٢) رواه البخاري (٦٠٧٢).

وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة، وحيث عمم بلفظ الإماء أي أمة كانت، وبقوله (حيث شاءت) أي من الأمكنة. والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة على ذلك، وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ [(١)].

عن الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله. تعني خدمة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة [(٢)].

قال ابن حجر:

(في مِهْنَةِ أهله) وقد فسرها في الحديث بالخدمة، والمراد بالأهل نفسه أو ما هو أعم من ذلك. وقد وقع مفسرا في الشمائل للترمذي من طريق عمرة عن عائشة بلفظ: (ما كان إلا بشرا

(١) فتح الباري (١٠/ ٤٩٠).
(٢) رواه البخاري (٦٧٦).

من البشر: يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه) ولأحمد وابن حبان من رواية عروة عنها "يخيط ثوبه، ويخصف نعله". وفيه الترغيب في التواضع وترك التكبر وخدمة الرجل أهله[1].

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: تقولون فِيَّ التيه وقد ركبت الحمار ولبست الشملة وقد حلبت الشاة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ فَعَلَ هَذَا فَلَيْسَ فِيهِ مِنْ الْكِبْرِ شَيْءٌ**»[2].

(فِيَّ التيه) الكبر أي في نفسي الكبر (وقد ركبت الحمار ولبست الشملة) هو كساء يتغطى به ويتلفف فيه (من فعل هذا) أي المذكور من ركوب الحمار ولبس الشملة وحلب الشاة (فليس فيه من الكبر شيء) فإن هذه الأفعال لا يأنف منها إلا المتكبرون[3].

عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه مر في السوق وعليه حزمة من حطب، فقيل له: ما يحملك على هذا وقد أغناك الله عن

(١) فتح الباري (٢/ ١٦٣).
(٢) رواه الترمذي (٢٠٠١) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
(٣) تحفة الأحوذي (٦/ ١١٨).

هذا؟ فقال: أردت أن أدفع الكبر عن نفسي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال خردلة من كبر»[(١)].

(١) رواه الطبراني (١٢٩)، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١١٧).

الخاتمة

قال ابن القيم:

(أصول الخطايا كلها ثلاثة: الكبر: وهو الذي أصار إبليس إلى ما أصاره، والحرص: وهو الذي أخرج آدم من الجنة، والحسد: وهو الذي جَرَّأ أحد ابني آدم علي أخيه. فمن وُقِيَ شَرَّ هذه الثلاثة فقد وُقِيَ الشر، فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحرص، والبغي والظلم من الحسد)[١].

نسأل الله أن يجعلنا من الذين يتواضعون له ولخلقه، ويعافينا من الكبر وأهله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الفوائد (٥٨).

اختبر فهمك

بين يديك مستويين من الأسئلة، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر.

أسئلة المستوى الأول المباشرة:

١- عرف الكبر في اللغة .

٢- عرف النبي ﷺ الكبر تعريفاً جامعاً مانعاً، فما هو تعريفه؟.

٣- للكبر أسباب متعددة، فما هي أسبابه؟.

٤- بِمَ يحصل الكبر؟.

٥- ما هي أصول الخطايا ؟.

أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

١- ما الفرق بين الكبر والعجب؟.

٢- متى يكون العلم سبباً للكبر؟.

٣- بماذا يعاقب المتكبر في الدنيا؟.

٤- بماذا يعاقب المتكبر في الآخرة؟.

٥- كيف نعالج المتكبر؟.

المحتويات